كَمران والصليف والحُدَيدة

بقلم الكاتب الفاضل بيت المقدسي البغدادي

ورد اليَّ كتاب من احد الاصدقاء في كمران فاحببتُ ان اذكر ملخَّصهُ لقرَّاء المشرق مع فوائد أُخر عثرت عليها في كتب متعدِّدة إفادةً للجمهور

كمران ومعناها كمران بكافٍ في الاول ووَهم من كتبها بقافٍ قال عنها في مراصد الاطلاع: « بالتحريك وآخرهُ نونٌ: جزيرة كمران باليمن ». وزاد صاحب التاج في مستدرك مادَّة ك م ر: « بالقرب من الصَّليف. وابو عبد الله العراقي نزيل كَمران الفقيه المحدِّث احمد من اخذ في العراق عن ابي اسحاق الشيرازي صاحب التنبيه ترجمهُ ابو الفتح البغدادي في ذيلهِ على تاريخ بغداد. والعجب من المصنِّف (اي من المجد الفيروزابادي) كيف ترك هذه الجزيرة وهي من اشهر جزائر اليمن وتريلها تلميذ جدَّهُ. وقد تولَّتْ بها (اي السيد المرتضى) وزورتُ الوليَّ المذكور ». وقال في مستدرك مادَّة ك ل ل: « واحمد بن اسعد الكلالي من اهل جزيرة كمران فقيهٌ ذكرهُ الخزرجيُّ »

امَّا معنى اللفظة فليس لهُ اشتقاقٌ في الاصول العربيَّة التي بيدنا ولعلَّ الاصل مفقود بفقد كثير من الاصول وهو غير مفقود في الآرامية. فكمران مشتقة من حمد ومعناها: أحزنَ. فيكون مؤدى معنى كمران الارض الحزنة لوحشة تلك الاراضي وإقفارها

وصفها ومعنى الصليف ان كمران هي بمنزلة رَبَض للصليف. وهذه اوحش من تلك بكثير. ولفظة الصليف مشتقَّة من الصلفة او الصافاء. وهي: الارض الصلبة اوالغليظة الشديدة. لوجود ارض الصليف على هذه الحالة. وتتردَّد المراكب البحريَّة الى الصليف بدون انقطاع وفيها جماعة من الافرنج للإتجار او للقيام بالاشغال التي تُلقدوها. امَّا حرُّها فشديد لا يُطاق لا لكون ارتفاع درجتهِ يبلغ النهاية القصوى (اذ لا تتجاز الحرارة الدرجة الـ ٣٠ من المقياس المئوي) لكن لرطوبة تلك الحرارة وليس هناك نسيم ولا ريح باردة ولا حارة في ايام الصيف الَّا في النادر ولهذا فيتعسَّر العرَق وتشتدُّ من جرَّاء ذلك الامراض الوبية مبتدئة بفقد شهوة للطعام وانحلال قوى الجسم او تراخيهِ. وزد على ذلك كثرة البعوض في تلك النواحي فينام الافرنج في

كُلل يغدون فيها كأنهم في اتون نار حامية. امَّا المطر فيقع فيهـا على تعاقب الفصول الاربعة وليس بغزير. واكثر وقوعهِ في تموز وآب. واذا اردت الحقّ فليس في تلك النواحي شتاء ابدًا لان الريح الحارَّة التي تنقطع عن الهبُوب في اشهر الصيف تعود فتهبّ طول السنة حارَّة محرقة بدون انقطاع

ويُحيط بالصليف ممالح عديدة إنّ معدنيَّـة وان بحريَّة ويكثر اغلبها في قُنَن (القنّ ما ارتفع من الارض) هناك عظيم لا نبات فيهِ ولا شجر. وتستخرج منهُ شركة الملح شيئًا كثيرًا في كل سنة وتصدرهُ الى بلاد الهند والشرق الاقصى

والجزيرة كمران فُرضة حسنة. وهناك تُضرب الخيام للحجر الصحّي ويوجد فيهـا سكَّة حديد طولها خمسة كيلومترات تنسلُّ في خلال الجزيرة وداخل المضارب انسلال الادمّ وتنزل فيها الزوَّار والحجَّاج وهم يأتون اليها من كلّ فجّ عميق ووادٍ سحيق واغلب الذين يأتون اليها في شهر تشرين الثاني هم من الهند وجاوة والصين ونحوها. والزوار الذين يأتون مكَّة على طريق كمران فقط يبلغون ستين الفًا في السنة

وفي هذه الجزيرة مُختبَر للأحيَاء (laboratoire de bactériologie) ومُغرّب[1] واجهزة للتقطير وللتبريد وغير ذلك من الآلات التي يأتي الأعراب لمشاهدتها فينسبون اعمالها الى الجن والمشتغلين بها الى السحَرة

وفي كمران حصن عظيم تداعت جدرانهُ وتضعضعت اركانهُ عقـد حجارتهُ قدماء الفرس ثمَّ احرقهـا بالمدافع الغزاةُ البحريون البرتوغاليون. وفي الخرائط التي خطَّطها الانكليز او يخطّطونها علامة على كمران تُشير الى انها من املاكهم وليس شيء اقطع من هذا الكذب او هذا النوع من السرقة الانكليزيَّة فان الدولة العليَّة قد ملكت هذه الجزيرة من مدَّة تُربي على ٣٥٠ سنة اي منذ أخذها اليمن. وذلك ان السلطان سليم بعـد ان قهر مصر ارسل سنة ١٥٣٠ م احد قوَّادهِ واسمهُ المملوك سليمان باشا حسب النصّ المحفور على رخامة منصوبة في الجزيرة بعبارة تركيَّة وهذا تعريبها:

---

١) اي تليفون. وهذا من الاشتقاق المقيس عليهِ. قال في كتاب الاغاني للاصبهاني (٢١: ٦٧) « قال ابو جندب:

وقرَّبتُ الدعاء وأين مني اناسٌ بين سرَّ وذي يدوم

قرَّبتُ الدعاء: دعوتُ من بعيدٍ » اه بنصّهِ

« اني انا الخادم سليمان باشا والي مصر العبد المملوك لحضرة فاتح مصر السلطان سليم خان قد نشأت في الحرم الخاص به . ورأيتُ امورًا كثيرة عند فتح مصر وقد اتيت سنة ٩٤٥ (روميَّة) الى جزيرة كمَران بالاسطول الهمايونيّ لدفع لصوص البحر والتنكيل جم من ابناء برتوغال المتولين على البحر الاحمر وبعد ان اخذتُ عدن تقريبًا وعيَّنت جرام بك امير لواء ذهبتُ الى الهند ومن الهند اتيتُ الى لحا وقتلتُ احمد ناخُذاه بك الموجود في زبيد من الامراء المباركة ثم رجعتُ فاقلًا الى مصر بعد ان عيَّنت مصطفى بك امير الاي الذي كان سابقًا نائب غزَّة حاكمًا على اليمن واوصيتهُ بالاستيلاء على تغزك الخ الخ (١

وكانت الدولة العليَّة قد اذنت لجاريج الانكليز في محاربتهم للحبشة سنة ١٨٦٧ و ١٨٦٨ ان يُمرّضوا في هـذه الجزيرة وكان يومئذٍ رئيس الجنود الانكليز اللورد روبرت نابيَر اوف مجدَلة (Lord Robert Napier of Magdala) ومنذ ذاك الحين اخذ الانكليز يُعلِّمون تلك الجزيرة بعلامة مُلكهم . وهو من الغرابة بمكان . والشائع على ألسنة العوامّ في هذه الجزيرة ان كمران (ويلفظونها كالترك اي قمران مثنَّى قمر في حالة الرفع) هو اسم ملكة عربيَّـة اصلها من سبا كان حسنها بتمام حسن قمرَين وباسمها تسمَّت الجزيرة تشرُّفًا وتبرُّكًا وافتخارًا

امَّا اخلاق العرب في نواحي كمران فتختلف انظار الجميع فان الدعـة تغلب على سكان السواحل منهم . والغلظة والجفاء والعنجهيَّة تغلب على سكَّان داخل تلك البلاد وعند الجميع تُعدُّ الضيافـة من الامور المقدَّسة . وهم يُسمّون روميًّا (ومعنى الرومي عندهم النصراني على وجه الاطلاق) من يلبس لباسًا افرنجيًّا مهما كانت ديانتـهُ او اورمتهُ على حدّ ما اصطلح عليهِ الاعراب في العراق والجزيرة وبادية الشام . . .

---

١) وهذا نصُّها التركي : « خادم سليمان پاشا »

« فاتح مصر سلطان سليم خان حضرتلرينك عبد مملوكدن اولوب حرم خاصده تربيه اولش ومصر فتحنده برابر بولنـهرق بك چوق امور كورمش اولان خادم سليمان پاشا مصر والبسى اولديغى حالده بحر احمره مستولى پورتغـال قورصانلديغى دفع وتنكيل ايچون دونمای همايون ايله ٩٤٥ (روى) تاريخنده كمران جزيره سنه كلوب وبر تقريب عدنى ضبط ايدوب جرام بكى مير لواء تعيين ايندكدنصكره هنده كيتمش وهنددن خلايه كله رك واسراى چراكـه دن زبيده بولنان (احمد ناخذا) بكى قتـل ايدرك سابقًا غزه نائبى اولان مير لواء مصطفى بكى يمن حاكمى براقدقدنصكره وتغزلك ضبط واستيلاسنى تومبه ايلدكدنصكره مصره متوجهًا عودت ايلمشدر الخ الخ

الحُدَيدة قال التاج في مستدرك مادَّة ح د د: والحُدَيدة مصغَّرًا قرية على ساحل بحر اليمن. سمعتُ بها الحديث». والحديدة في هذا اليوم مدينة مبنيَّة على البحر وميناؤها لا يرام ولهذا لا يوافق تعمير بلدته وتحسينها وترقيتها درجات الحضارة والعمران او نموّ تجارتها. واغلب هذه التجارة البنّ. والبنّ الذي كان في سابق الزمان يصدر من مُخا لم يَعدْ يخرج منها اليوم شيء. وقد اصبحت مُخا قريةً خاملة الذكر ليس لها شيء من الاهميَّة وجميع اصناف البن الذي يصدر من اليمن يجيء على طريق الحُدَيدة. وفي هذه المدينة مرسلان وثلاث راهبات وجميعهم من رهبانيَّة الكبوشيين. واحد هذين الابرين ماروني الاصل (ي. عذبا) من تلامذة كليَّة الاباء اليسوعيين في بيروت واسمهُ في الرهبانيَّة الاب فُلجنس Fulgence وبهذا القدر كفاية والسلام

حبيس بحيرة قَدَس

للاب هنري لامنس اليسوعي

معربة بقلم المعلم رشيد الخوري الشرتوني (تابع لما سبق)

القسم الثاني

١

ان المسافر متى بارح الوادي الخصيب الذي فيهِ ترتفع قرية درما الزاهرة متدرجةً على هيئة السلَّم يأخذ الطريق المؤدية الى قرية ترنج فلا يمشي فيها غير يسير حتى يصل الى سلسلة جبال عالية تُعرف بجبل ترنج. وهناك تنبت بعض اشجار ضئيلة ما بين صخور قطَّعتها المياه والعوامل الجويَّة معطيةً اياها اشكالًا وهيئاتٍ غريبة. على ان ما يُشاهَد في كلّ هذه البقعة من خَبَث الحديد يُنبئ بان الناس عالجوا فيها عمل هذا المعدن ازمانًا بهمَّةٍ ونشاط

وكان جبل ترنج في ايَّام الرواية التي نسرد حوادثها مكتسيًا بغابات كثيفة من الارز والسنديان والصنوبر والشربين يختلط معها قليل من الاشجار المثمرة كالاجاص والجوز.